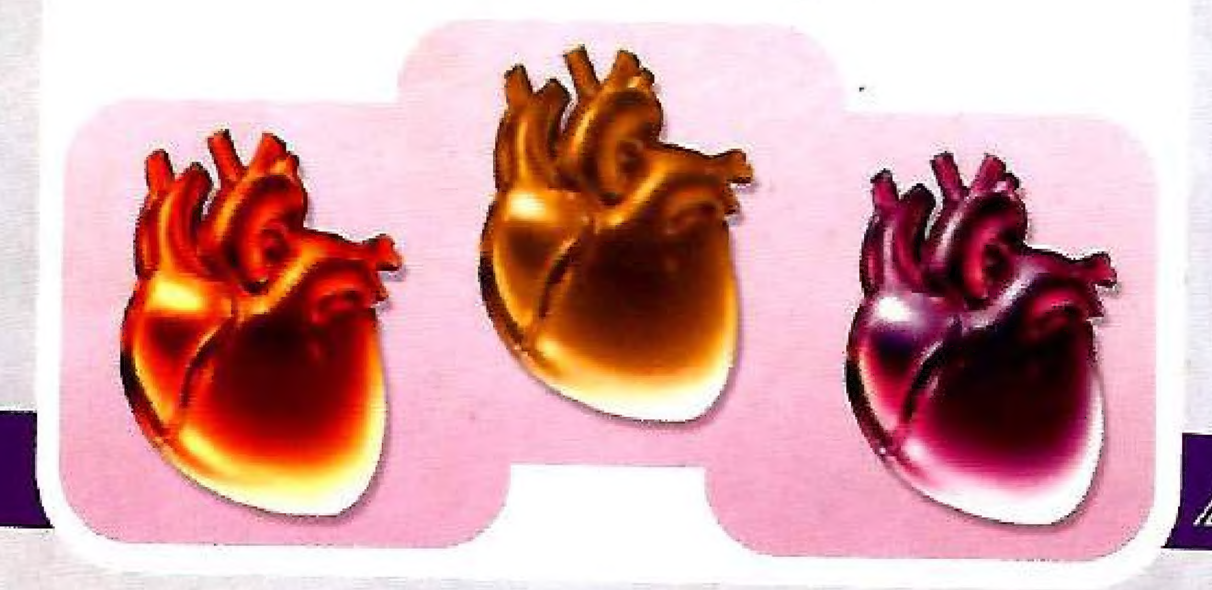


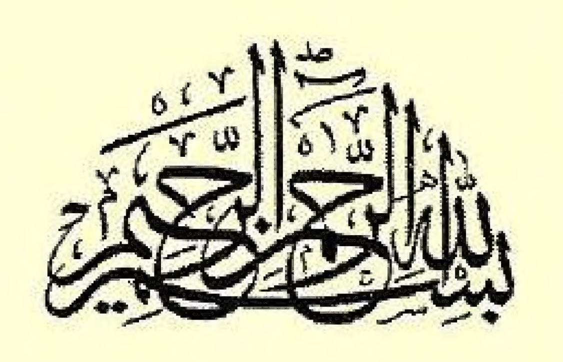
قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

(إياك والتلوّن)









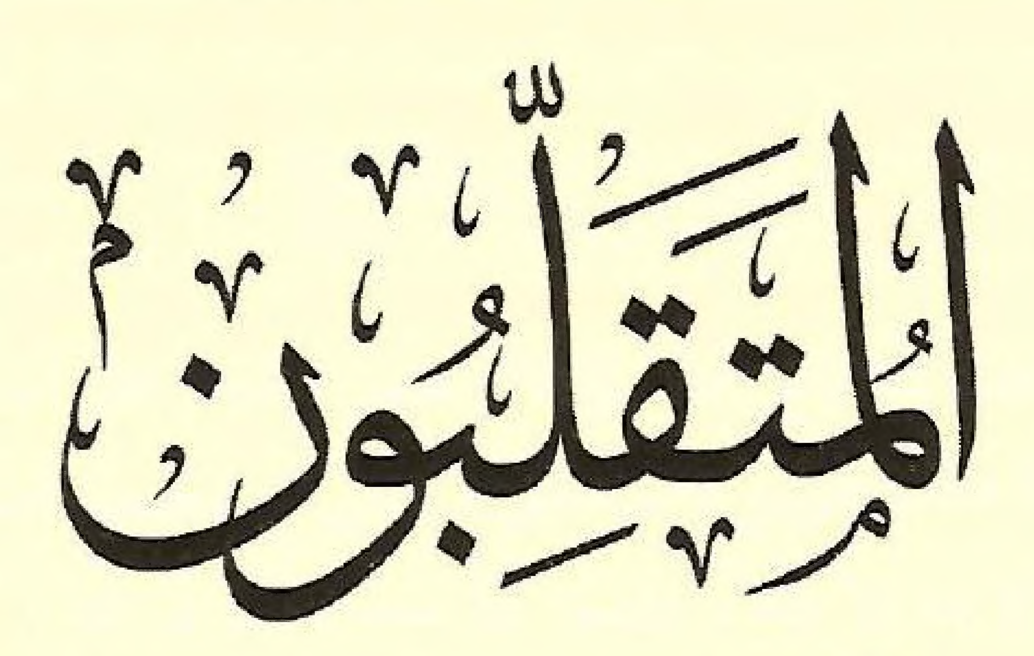
الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



الدائري الشرقي - مخرج ١٥ - ٢ كم غرب أسواق المجد

الرياض : الملز / ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) - فاكس : ٤٧٢٣٩٤١
السويدي ت ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧ فرع جدة ت ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٣٨٦
مندوب الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ - مندوب الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
مندوب الشرقية والدمام : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ - مندوب الجنوبية : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
مندوب الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مندوب التوزيع الخيري للمنطقتين الجنوبية والشرقية : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
مندوب التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
لطلبات الجهات الحكومية : ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧
مبيعات المكتبات الخارجية : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

الموقع على الإنترنت : www.madar-alwatan.com
البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com



قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

(إياك والتلوّن)

محمد صالح المنجد



أصل هذه المادة محاضرة ألقاها
فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله .

وبعد :

إن الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد ، لكن وضع المجتمعات التي يعيشها المسلمون اليوم ، وأنواع الفتن والمغريات ، وأصناف الشهوات والشبهات ؛ تجعل الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد من أشق الأمور على أهل هذا الزمن ؛ زمن التقلّب والانفتاح لذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « **اللّهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور** » أي من النقصان بعد الزيادة ، أومن المعصية بعد الطاعة ، أو من الكفر بعد الإيمان .

فالمسلم يحتاج إلى أنواع من الثبات .

الثبات أمام الشهوات ، وأمام الشبهات ، وأمام المغريات ، وأمام التقلّبات ، وأمام الفتن ، وأمام الأعداء .

وفي هذه الرسالة يجد القارئ الكريم ما يبين حاجة المسلم إلى الثبات في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن ، مع التحذير من التلون والتقلب وذكر طرقه والأسباب المؤدية إليه ، ثم توجهت برسالة إلى هؤلاء المتقلبين ذكرت فيها أن باب التوبة مفتوح وطريقه ممهد لمن أراد الرجوع .

نسأل اللّٰه سبحانه الهداية والثبات ، ونعوذ به من الحور بعد الكور ، وأن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

محمد صالح المنجد

حاجتنا إلى الثبات

إن من أعظم نعم اللَّه تعالى على عبده أن يهديه الصراط المستقيم ، وأن يثبته على ذلك حتى الممات ، ولهذا كان من دعاء المؤمنين ربهم في كل صلاة : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة : ٦] ، فالمؤمنون وإن كانوا في هداية على وجه العموم ؛ إلا أنهم لا يزالون يطلبون الهداية ؛ لأجل الثبات عليها .

هذا الثبات هو الذي يحتاجه المسلم في كل وقت وحين . وخصوصًا في هذا الزمن ، زمن التقلبات .

ولهذا فإننا نسأل اللَّه سبحانه الهداية ، لأنه هو الممتن على عباده بنعمة الثبات على الحق قال تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

قال السعدي - رحمه اللَّه - : (يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين ، أي : الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام ، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها ، فيثبتهم اللَّه في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين ، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه اللَّه على هوى النفس ومراداتها .

وفي الآخرة : (عند الموت ، بالثبات على الدين الإسلامي ،

والخاتمة الحسنة ، وفي القبر عند سؤال الملكين)[١] .

إننا نحتاج إلى هذا الثبات ، الذي هو فطرة الله التي فطرنا عليها ، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة : ١٣٨] ، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم : ٣٠] ، إنها صبغة الدين الحق ، والعبادة لله وحده ، والتسليم له في كل الأمور ، والسير على جادة واضحة لا اضطراب فيها ولا خلل ، ولا تبديل فيها ولا تغيير .

ولكن . . . صَدَّقَ إبليسُ ظنَّه على كثير من الخلق ، فاتبعوه على تغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ ! !** » . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ الْآيَةَ »[٢] .

ومن اتبع إبليس على تغيير فطرته : هؤلاء المتقلبون المتلونون . . الذين صاروا سمة بارزة لعصرنا ، بسبب كثرة الضغوط والمغريات والفتن ، فتراجعوا عن آرائهم القديمة ، وأصبحوا يتقلبون بين الآراء والأفكار والمذاهب .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٦) .

(٢) رواه البخاري (١٢٩٢) ومسلم (٢٦٥٨) واللفظ له .

وهؤلاء المتقلبون المتلونون ليسوا على طريقة واحدة . . .

فبعضهم انقلب عن دين الإسلام إلى دين الكفر - والعياذ بالله - وانسلخ من معتقداته القديمة بالكلية .

وبعضهم تلوّن بلون التوحيد وأبطن به الشرك ، أو تلوّن بلون الإخلاص وأخفى به الرياء ؛ مخادعة للّه وللمؤمنين : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء : ١٤٢- ١٤٣] .

ومن هؤلاء المتقلبين من غرّته ألوان الدنيا الباهرة ، وزخارفها الغرّارة ، فانساق يلوّن نفسه بكل لون ، ولو كان على حساب دينه أو خلقه ، لهثًا خلف سراب الدنيا وحطامها الزائل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي اللّه عنه - عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ : « **تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ : الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ** »[١] .

قال النووي - رحمه اللّه - : (هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها ، فيُظهِر لها أنه منها في خير أو شر ، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع ، وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين ، وهي مداهنة محرمة)[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٣٣٠٤) ومسلم (٢٥٢٦) واللفظ للبخاري .

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٧٩) بتصرف .

وقال القرطبي - رحمه اللَّه - : (إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافِق ؛ إذ هو متملق بالباطل وبالكذب ، مدخل للفساد بين الناس)(١) .

وتلك حال المتقلبين المتلونين ، أهل النفاق والفساد ، والعياذ باللَّه .

لَهُ أَلْفُ وَجْهٍ بَعْدَمَا ضَاعَ وَجْهُهُ فَلَمْ نَدْرِ فِيهَا أَيَّ وَجْهٍ نُكَلِّمُ

عن أبي مسعود الأنصاري - رضي اللَّه عنه - أنه دخل على حذيفة - رضي اللَّه عنه - فقال : أوصنا يا أبا عبد اللَّه . فقال حذيفة : أما جاءك اليقين ؟ ! . قال : بلى وربي . قال : فإن الضلالة حق الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم ، وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم ، **وإياك والتلوّن فإن دين اللَّه واحد**(٢) .

والمقصود أن من هؤلاء المتلونين من يفتي بحرمة بعض الأمور ، ويسرد الأدلة التي تدل على حرمتها ، مستشهدًا بفتاوى كبار العلماء . . . وفجأة . . . ينقلب الحرام حلالًا ، وفتاوى العلماء تُسْقَط وتصبح فتاوى متشددة .

فيا أيها المتلون . . . من أين لك هذه الفتوى الجديدة ؟ ! .

هل هي نتيجة لدراسة فقهية جديدة؟ ! .

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٧٥).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٥٤) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٦٨١).

هل اطلعت على دليل لم تكن تعرفه قبلًا ؟ ! .

أم صح عندك حديث كنت تظنه ضعيفًا ؟ ! .

أم تبين لك ضعف الحديث الذي كنت تصححه ؟ ! .

ما هو الجديد في الموضوع ؟ ! .

والإجابة : لا شيء من هذا . . . ولو صدق مع نفسه لعرف أنه الهوى .

وللأسف . . فإن بعض هؤلاء المتقلبين يُنسبون إلى الدعوة والصحوة ، وهم محسوبون على أهل السنة والجماعة .

ولقد وصل التقلب إلى درجة كبيرة من الخطورة . . فلم يعد الأمر تغير رأيٍ في مسألة أو فتوى . . بل أصبح بعضهم ينقلب من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال .

يكون أحدهم مقدامًا متهورًا . . فيصبح جبانًا خانعًا ذليلًا . . وينسى أن ديننا هذا هو الدين الوسط .

والمتلونون دنيئو الهمة ، فمن السهل جدًا شراء ذممهم كي يتحولوا إلى أدوات وأبواق بيد الآخرين .

والمتلونون أناس هائمون على وجوههم ، لا قرار لهم ، فهم ينعقون مع كل ناعق ، لا يمكنك أن تأخذ منهم ذرة حق ، ولا أن تثق بهم أو تعول عليهم في الشدائد .

المتلونون مسيرتهم فاشلة ، وسفنهم لا ترسو إلا على الشواطئ الآسنة ، حيث الفساد كامن ، فلا صلاح إلا بالخلاص من هؤلاء .

لسان حالهم يقول :

دَعِ المَوَدَّاتِ إِنَّ الحُبَّ إِغْرَاءُ ... وَصَاحِبِ اليَوْمَ فِي دُنْيَاكَ حَرْبَاء

مُلَوَّنٌ لَا يَفِي إِلَّا لِحَاجَتِهِ ... يُبْدِي الوَلَاءَ وَمِلْءُ النَّفْسِ شَحْنَاءُ

يُبْدِي النَّوَاجِذَ إِمَّا كُنْتَ ذَا سَعَةٍ ... كَالأُسْدِ يُضْحِكُهَا حِقْدٌ وَبَغْضَاءُ

وَيَسْتَرِيحُ إِلَى لُقْيَاكَ مُبْتَسِمًا ... وَفِي تَضَاعِيفِهِ تَنْدَسُّ أَشْيَاءُ

وَيَسْتَبِيكَ بِأَلْوَانٍ مُنَمَّقَةٍ ... وَجَوْهَرُ القَوْلِ لَوْ فَتَّشْتَ أَدْوَاءُ

فَصَاحِبٌ حَال ثَوْبِ الوُدِّ يَنْسِجُهُ ... مِنَ الخِدَاعِ وَنَسْجُ الثَّوْبِ إِقْذَاءُ

وَآخَرٌ تَمْلَأُ الدُّنْيَا مَحَبَّتُهُ ... وَمِلْءُ بُرْدَيْهِ تَضْلِيلٌ وَإِغْرَاءُ

وَثَالِثٌ لَا يَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحْمَدَةٍ ... يَشْدُو بِهَا وَيُغَنِّي وَهْوَ مُسْتَاءُ

وَرَابِعٌ حَاقِدٌ لَكِنْ يُغَالِبُهُ ... وَفِي مُغَالَبَةِ الأَحْقَادِ أَهْوَاءُ

أَلْوَانُ وُدٍّ تُسَاقِينَا بِأَكْؤُسِهَا ... وَخَيْرُنَا شَارِبٌ وَالكَأْسُ حَوْبَاءُ

فَمَنْ يُصَافِيكَ أَوْ تُصْفِي الوِدَادَ لَهُ ... فَصَفْحَةٌ نَشْرُهَا شَرٌّ وَإِيذَاءُ

فَحَاسِبِ النَّفْسَ وَاغْرِضْ مَا تَجِيشُ بِهِ ... تَلْقَ المَوَدَّةَ سِفْرًا خَطُّهُ المَاءُ

وَمَنْ صَفَا لَكَ وَالسَّرَّاءُ مُدْبِرَةٌ ... تَصْفُو لَهُ وَفِجَاجُ الأَرْضِ دَكْنَاءُ

قَرْضًا تُعَاطِيهِ لَا وُدًّا تُبَادِلُهُ ... طُولَ المَدَى يَتَعَاطَى القَرْضَ أَحْيَاءُ

لقد أثَّرت هذه التقلبات والتلونات في عامة الناس ، فعادوا لا يعرفون الحق من الباطل ، والصحيح من الخطأ ، يقول أحد العامة : (كنا متقيدين بكلام علمائنا الكبار ، عاملين بفتاواهم ، مقتنعين بأدلتهم . . ثم أصبحت تخرج علينا أحكام مختلفة ، عبر مقابلات ، وبرامج ، وقنوات ، ومقابلات ، ومؤلفات مختلفة ، تُصادم ثوابتنا وتسفه أقوال العلماء الكبار الثقات الذين ماتوا على الرسوخ في العلم . . . فما الذي نصنعه ؟ !) .

أيها المتقلبون . . لمصلحة من يحدث هذا الخدش في فتاوى العلماء الكبار؟ ! .

لماذا هذه الإغارة على الأحكام المستقرة في نفوس الناس منذ سنين طوال؟ ! .

ما هي نتيجة هذا التشويش؟ ! .

لقد أصبح عامة الناس متشككين في أقوال علمائهم ، وفي أمور دينهم ، فكل المسائل أصبحت خلافية ، ولم يَعُدْ هناك محرم كما كان من قبل .

فحذارِ حذارِ من هذا التقلب والتلون .

وحذارِ حذارِ من المداهنة في دين اللّه سبحانه .

شناعة التقلب والتلون

يكفينا من شناعة التلون في دين اللَّه ، وفظاعة التقلب في السير إلى اللَّه ؛ أن الواقع فيه قد اتصف بصفة من أخص صفات المنافقين التي وصفهم اللَّه تعالى بها في كتابه ، وذمهم عليها .

قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء : ١٤٢-١٤٣] .

قال الشيخ السعدي - رحمه اللَّه - : ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي : مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين ؛ فلا هم من المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ، ولا من الكافرين ظاهرًا وباطنًا ، أعطوا باطنهم للكافرين ، وظاهرهم للمؤمنين ، وهذا أعظم ضلال ؛ ولهذا قال : ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ أي : لن تجد طريقًا لهدايته ، ولا وسيلة لترك غوايته ، لأنه انغلق عنه باب الرحمة ، وصار بدله كُلّ نقمة .

فهذه الأوصاف المذمومة ، تدل - بتنبيهها - على أن المؤمنين متصفون بضدها : من الصدق والإخلاص ظاهرًا وباطنًا ، وأنهم لا يُجْهَل ما عندهم ، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم ، وكثرة ذكرهم

لله تعالى ، وأنهم قد هداهم الله ، ووفقهم للصراط المستقيم .

فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين ، وليختر أيهما أولى به ، وبالله المستعان)[١] .

عَنِ ابْنِ عُمَر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً ، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً** »[٢] .

والعَائِرَة : هي المُتَرَدِّدَة الحَائِرَة التي لَا تَدْرِي مع أي الغنمين تمشي ، أو أيهما تَتْبَع ، فهي مترددة ، تتبع هذا مرة ، وهذا مرة ! ! .

فهذا هو الوصف المناسب لحقيقة هؤلاء المتقلبين . . الذين يحاولون تارة إرضاء المؤمنين . . . وتارة يحاولون إرضاء أهل الكفر بتقديم التنازلات تلو التنازلات .

ولو أنهم فَقِهوا قوله تعالى : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة : ١٢٠] لتوقفوا عن التزلف لأهل الكفر بشتى الوسائل لإرضائهم .

ولأجل مشابهة المتقلبين للمنافقين كان السلف يربطون التقلب في الدين ، والتلون في السير إلى الله تعالى ؛ بضعف الإيمان وتردده

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢١١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٤).

في القلب ، ويحذرون من هذا التقلب أشد التحذير .

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه قال : (اتقوا اللَّه ، أعوذ من صباح النار ، إياكم والتلون في الدين ، ما عرفتم اليوم فلا تنكروه غدًا ، وما أنكرتموه اليوم فلا تعرفوه غدًا)[١] .

وعن إبراهيم النخعي - رحمه اللَّه - قال : (كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب في اللَّه)[٢] .

وقال مالك - رحمه اللَّه - : (الداء العضال التنقل في الدين)[٣] .

تقلب القلوب

لا شك عند كل ذي لب أن حاجة المسلم اليوم لوسائل الثبات أعظم من حاجة المسلم أيام السلف ، والجهد المطلوب لتحقيقه أكبر ؛ لفساد الزمان ، وندرة الأخوان ، وضعف المعين ، وقلة الناصر .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي اللَّه عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ** »[٤] .

---

(١) الزهد للإمام أحمد (١/ ١٨٢).

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/ ٨٥).

(٣) الإبانة لابن بطة (٢/ ٨٦).

(٤) رواه الترمذي (٢٢٦٠)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٨٠٠٢).

فحقيقة الالتزام الصادق أن يثبت الإنسان على دينه مهما تغيرت الظروف والأحوال . . حاله الآن كحاله بعد عشرين سنة . . الدعوة واحدة ، والمنهج واحد ، والحلال حلال ، والحرام حرام ، والمعروف معروف ، والمنكر منكر ، لم يتغير شيء .

دع عنك قضية تغير الفتوى . . فإننا لا نقصد هذه المسألة التي ضبطها العلماء بضوابط معروفة . . ولكننا نتحدث عن التقلبات والتغيرات التي ليس لها مستند صحيح وواضح .

لقد وقع في فوضى التقلب والتلون عددٌ من المنتسبين إلى الصحوة الدعوية ، واليقظة الإسلامية ، فصار عندهم تراجعات . . وتغيرات . . وتقلبات . . بدون ميزان واضح ، ولا منهج مستقيم ، وهذه هي المشكلة ! .

التقلب طبيعة بشرية :

إن هذا التقلب والتغير ليس بغريب على الطبيعة البشرية . . فإن القلوب من طبعها التقلب والتحول . . واللّه سبحانه وتعالى هو الذي يقلب القلوب والأبصار .

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي اللّه عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ ؛ إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ ، تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ** »[١] .

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٩٦٧٧)، وصححه الألباني (٢٣٦٥).

والمعنى : أن من صفة القلب العجيبة الشأن سرعة تقلبه بسبب الدواعي ، كريشة واحدة تقلبها الرياح بأرض خالية من العمران ؛ فإن الرياح تكون أشد تأثيرًا فيها منها في العمران ! ! .

قَالَ المِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ رضي الله عنه : لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ . قِيلَ : وَمَا سَمِعْتَ؟ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا** »[١] .

وقد عبر الشاعر عن هذا المعنى ، فقال :

وَمَا سُمِّيَ الإِنْسَانُ إِلَّا لِنَسْيِهِ ... وَلَا القَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ

بادر الخير ، واحذر من التقلب والفتن :

إن مما يزيد الأمر شدة وصعوبة - إضافةً إلى تلك الطبيعة المتقلبة للقلب - كثرة حوادث الردة والنكوص على الأعقاب والانتكاسات بين المسلمين ؛ مما يحمل المسلم على الخوف من أمثالها ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى برٍ آمن .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** »[٢] .

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٣٨٦٧)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥١٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٦).

قال الحسن - بعد ذكر هذا الحديث - : (والله لقد رأيناهم صورًا ولا عقول ، أجسامًا ولا أحلام ، فراشَ نار وذبَّانَ طمع ، يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين ، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز)[١] .

قال النووي - رحمه الله - : (وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب)[٢] .

فإذا عرفت الحق بدليله فاثبت عليه ، ولا تغير ولا تبدل ، ولا تكن قرة عين لأعداء الله ، وحسرة في قلوب أهل السنة والتوحيد .

واحذر من سرعة التغير في عصر الفتن الذي نعيش فيه . وإياك والخوف من أعداء الله ورهبتهم مع كثرة الضغوط .

تقلب القلوب وتحولها بين الخير والشر من دلائل سلطان الله تعالى على العباد :

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال : ٢٤] .

يعني : أنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم ، فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة ، عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته .

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٤٢٨) .

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣) .

قال ابن القيم - رحمه اللَّه - : (المشهور في الآية: أنه يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان ، ويحول بين أهل طاعته وبين معصيته ، وبين أهل معصيته وبين طاعته ، وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين)[١].

سئل سفيان الثوري - رحمه اللَّه - : بم عرفت ربك؟ قال : (بفسخ العزم ، ونقض الهمة)[٢].

فتثبيت القلب المتقلب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير ، يحتاج بعد فضل اللَّه وعونه إلى وسائل عظيمة ، تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها .

ولهذا كان النبي ﷺ يذكر ربه بذلك الوصف كثيرًا ، ويثني عليه بسلطانه ذلك .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ : «لَا ، وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»[٣].

الخوف من التقلب والرغبة إلى الله في التثبيت :

إذا كانت الهداية للحق والثبات عليه من أعظم نعم اللَّه تعالى على العبد ، فإن الانقلاب على الأعقاب ، والتولي عن الحق ، والانصراف

(١) الفوائد (٩٠).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٥٢).

(٣) رواه البخاري (٦٩٥٦).

...الهدى بعد السير في الطريق ؛ هو أعظم بلية يبتلى العبد بها في الدنيا ، فإنها سبب الحرمان والخسران ، وسبب الشقاء والعذاب .

وإذا كان التقلب بهذه الخطورة ؛ فإن من أهم وظائف العبد في هذا المقام أن يلجأ إلى ربه ﷻ ، ويفتقر إليه ، ويدعوه أن يحفظه من التقلب ، وأن يثبت قلبه على الهداية والرشاد .

ولأجل ذلك كان أعلم الخلق بالله ، وأتقاهم له : نبي الله ﷺ ، يسأل الله دائمًا أن يثبته على الهدى ، وأن يعيذه من التقلب في الدين ، وأن يعيذه من النقص في الطاعة والإيمان .

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ : « **نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ** »(١) .

وعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا قَالَ : « **يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ** »(٢) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْنِ ، وَدَعْوَةِ

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٧٩٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٩٤١٠)، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره .

المَظْلُومِ ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ[١] .

قَوْله : (وَالحَوْر بَعْد الكَوْن) نظير ما في الرواية الأخرى : (الحور بعد الكور)[٢] ، ومعناه : الرجوع من الإيمان إلى الكفر ، أو من الطاعة إلى المعصية ، أو من الزيادة إلى النقص .

وهكذا كان النبي ﷺ يلهج إلى اللَّه بالثبات ، وعلى هديه سار الراسخون في العلم إذ قالوا ما ذكر اللَّه عنهم :

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران : ٨] .

وهذه هي حال الراسخين في العلم مع ربهم ، وهي الحال اللائقة بالإيمان المنبثق من الاطمئنان لقول اللَّه ووعده ، والمعرفة برحمته وفضله ، والإشفاق مع هذا من قضائه المحكم وقدره المغيب ، والقلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الضلال ، والاستقامة بعد الحيرة .

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٣) .

(٢) الرواية الأخرى عند الترمذي (٣٤٣٩) والنسائي (٥٤٩٨) وابن ماجة (٣٨٨٨)، وصححها الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٧٣٥) .

تغير الفتوى

هناك فرقٌ بين تغير الفتوى ، والتقلب المذموم .

فالمرء قد يرى رأيا ثم يرجع عنه لتغير اجتهاده أو مأخذه وهو غير مذموم على ذلك .

فمثلًا . . قد يقول أحدهم بنجاسة الدم ، ثم بعد فترة من الزمان يعيد دراسة المسألة مرة أخرى ، ويتعمق فيها أكثر ، ويقرأ ما لم يكن قد قرأه من قبل ، فتتغير قناعاته ، ويطَّلِع على أدلةٍ لم يكن قد سَمِعَ بها من قبل ، ويصح عنده حديثٌ كان ضعيفًا فيقول بطهارة الدم ، فتتغير فتواه ، ويقول بطهارة الدم .

وطالبُ علمٍ آخر يُفتي بأن النزول للسجود إنما يكون على الركبتين أولًا . . . ثم بعد دراسة واستقصاء يرى أن الأصح هو النزول على اليدين أولًا .

فمثل هذه المسائل التي تتغير فيها الفتوى ليست من التقلب والتلون المذموم ؛ لأنه لم يغير رأيه إلا بعد دراسة وتمعن وتفكر وتتبع ، وليس بعد ضغوط وإغراءات .

والذي ينتقل من رأي إلى آخر في مثل هذه المسائل إنما يفعل ذلك ليعبد اللَّه على بصيرة وعلم ، ويتبع الدليل الأصح ، وهو مأجور على فعله هذا - إن شاء اللَّه تعالى - .

وكثير من العلماء تغيرت فتاواهم وآراؤهم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا ينكرون على بعض في تغيير الفتوى التي تكون بعد دراسة ونظر .

فهذا الإمام الشافعي عندما انتقل إلى مصر . . وجدَ مدرسة فقهية جديدة لم يكن قد باحثها من قبل . . ورأى طرقًا جديدة في البحث والاستدلال وتقصي المسائل . . وصحت عنده أحاديث لم تكن قد صحت عنده من قبل . . فأصبح له مذهب آخر ، يسمى بالمذهب الشافعي الجديد .

فتغير الفتوى المبني على علم وهدىً ليس مذمومًا ، وإنما المذموم هو تغير الفتوى المبني على الآراء الشاذة ، والرغبة في التيسير والتهوين على الناس -بزعمهم- . . وغير ذلك .

والأدهى والأمر والأخطر . . إنهم لا يكتفون بتقلب آرائهم ، وتغير فتواهم ، بل إنهم يريدون أن تُمْحَى كل فتوى تخالف فتاواهم ، ويعملون على إزالة فتاوى كبار العلماء من الساحة ، ويقولون للناس : قد ذهب ما تعرفون . . ونحن الآن في عصر نحتاج فيه إلى التغيير .

وبئس ما يقولون .

فما تعرفه من سنة النبي ﷺ وهدي السلف الصالح وكبار العلماء خيرٌ مما يريدوننا أن ننتقل إليه .

نسأل اللَّه الثبات على هذا الدين .

أسباب التقلب في دين الله

في كل مجتمع . . وفي كل مكان . . هنالك أناس متقلبون متلونون ، تتبدل مواقفهم -بشكل ملفت وغريب- من حال إلى حال ، وسبب ذلك : إما مصلحة مادية ، أو من أجل الحصول على مركز مرموق في المجتمع ، أو بسبب الخوف والرهبة من بعض الأفراد أو الأطراف المستبدة التي تتربص بهم .

ومن الأسباب البارزة للتقلب والتلون في دين الله :

١- التعرض للشبهات ، ومواطن الفتن :

فكم من جاهل تزينت له الفتنة بلبوسها . . فإذا هو واقع فيها ولا يعلم أنه مفتون ! .

وكم من سليم أنار اللّه بصيرته ، فأبصر زيف ردائها . . فهو يحاذر أسبابها ! .

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي اللّه عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ : «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ؛ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لَا يَعْرِفُ

مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »[١] .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (وربما استحكم عليه هذا المرض . حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، والحق باطلًا والباطل حقًّا)[٢] .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، فَلَا يَزَالُ بِهِ -لِمَا مَعَهُ مِنْ الشُّبَهِ- حَتَّى يَتَّبِعَهُ »[٣] ولأجل ذلك كان فقيهُ الفتن حذيفةَ بن اليمان - رضي الله عنه - يقول : (إياكم والفتنَ ، لا يشخصْ لها أحد ، والله ما شَخَص فيها أحد إلا نسفته ، كما ينسف السيلُ الدّمن)[٤] .

والدمن: هي آثار الناس والديار القديمة البالية .

وقال قتادة - رحمه الله - : (لقد رأينا - والله - أقوامًا يسرعون إلى الفتن وينزعون فيها ، وأمسك أقوام عن ذلك هيبة لله ومخافة منه ، فلما انكشفت إذا الذين أمسكوا أطيب نفسًا ، وأثلج

(١) رواه مسلم (١٤٤).

(٢) إغاثة اللهفان (١٢).

(٣) رواه أبو داود(٤٣١٩) والإمام أحمد(١٩٨٨٨) واللفظ له،وصححه الألباني في « صحيح الجامع »(٦٣٠١).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٢٠٧٤٠) ومستدرك الحاكم (٨٣٨٥) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحلية الأولياء (١/ ٢٧٣).

صدورًا ، وأخف ظهورًا من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها ، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها ، وايم اللَّه ! لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت كما يعرفون منها إذا أدبرت لعَقَل فيها جيل من الناس كثير)[1] .

ولهذا قال عمر بن عبد العزيز - رحمه اللَّه - : (من جعل دينه غرَضًا للخصومات أكثر التنقل !)[2] .

وبعض شبابنا وفتياتنا اليوم يعرضون أنفسهم للفتن . . فتراهم يدخلون إلى مواقع الإنترنت المتخصصة ببث الشُّبه ، ويحادثون بعض المتخصصين في طرح هذا الشُّبه عن طريق (البالتوك) ، بدعوى الرد على الفرق الضالة ، والمذاهب المخالفة .

ونحن نسأل هؤلاء : ما لديكم من العلم والتقوى ما يحصنكم من هذه الشُّبَه؟ ! .

وما مدى معرفتكم بحقيقة بِدَع القوم وزيف كلامهم وخلله؟ ! .

وعند التحقق من واقعهم نرى أنهم لا يملكون ما يحميهم من هذه الشبه والفتن ! .

والأسوأ من هؤلاء . . أولئك الذين يطَّلِعون على مواقع الأديان الأخرى ، والمذاهب المبتدعة ، بحجة حب الاطلاع والمعرفة ، والنظر في آراء الآخرين ! .

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٣٣٧).

(٢) سنن الدارمي (٣٠٤) وقال محققه : إسناده صحيح ، حلية الأولياء (٩/ ٢١٨).

وقد نسوا أو تناسوا أن القلب قد يتشَرَّب شيئًا من هذه الفتن والشبهات فلا تزال تكدر عليه صفاء الحق وبرد اليقين ، فلا تخرج منه .

وبعضهم يقول : لقد تصفحنا تلك المواقع . . ولم يتغير فينا شيء؟ ! .

فنقول : ليس من الضروري أن يكون التغير بمجرد التصفح لأول وهلة . . أو قراءة شيءٍ من مقالاتهم وكتبهم في المرة الأولى .

لكن . . قد يكون التغير بعد مدةٍ من الزمان ، وبعد أن تُعْرَض عليه أنواعٌ من الفتن والشبه ، فتجتمع عليه تلك الشبهات حتى تزيغه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومثل هؤلاء المتصفحين لمواقع الإنترنت . . أولئك الذين يذهبون إلى المكتبات ويقرءون كتابات المبتدعة المنحلين عن دين الإسلام وغيرهم .

ولا شك أن القصص والروايات -أيضًا- لها تأثير كبير على نفوس الشباب . . فإنها تقدم الإلحاد والمذاهب الفاسدة والدخيلة في قالب جميل ، وأسلوب جذاب .

وقد أدمن كثيرٌ من شبابنا وفتياتنا هذه القصص والروايات ، ولم ينظروا إلى حقيقة ما تقدمه ، ولم يتأملوا السم المنقوع داخلها ، فعلينا الحذر من أمثال هذه الروايات .

وانظر نظر معتبر إلى هذه النماذج لترى أثر التعرض للفتن في التقلب والتلون :

(ناصر بن الشرف أبي الفضل الهيئي :)

من أهم أخبار المرتدين وأكثرها عبرة ما سجله الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في حوادث ٧٢٦هـ حيث (ضُرِبَت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل الهيئي على كفره، واستهانته واستهتاره بآيات الله، وصُحْبَتِهِ الزنادقة.

قال البرزالي - رحمه الله -: وربما زاد هذا - المذكور المضروب العنق بالكفر - عليهم، التلاعب بدين الإسلام، والاستهانة بالنبوة والقرآن.

وحضر قتله العلماء، والأكابر، وأعيان الدولة.

وكان هذا الرجل قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزًّا للإسلام، وذلًّا للزنادقة وأهل البدع)[١].

(إسماعيل أدهم :)

إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم، عارف بالرياضيات، وله اشتغال بالتاريخ، أحرز الدكتوراه من جامعة موسكو عام ١٩٣١م، ثم ذهب إلى تركيا، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦م فنشر كتابًا وضعه في «الإلحاد»، وأصبح يكتب في المجلات المهاجمة للدين والداعية إلى الإلحاد.

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٤/ ١٢٢).

وقد تأثر هذا الملحد بالمد الشيوعي الإلحادي ، بسبب إدمانه قراءة إنتاج القوم ، حتى علقت أفكارهم بعقله وتمكنت من قلبه ؛ فألف إثر ذلك رسالة سماها « لماذا أنا ملحد؟ ! » .

جاء فيها قوله عن نفسه : (أسست جماعة لنشر الإلحاد بتركيا ، وكانت لنا مطبوعات صغيرة أذكر منها : ماهية الدين ، وقصة تطور الدين ونشأته وبعد هذا فكرنا في الاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية ، وكانت نتيجة ذلك تحويل اسم جماعتنا إلى المجمع الشرقي لنشر الإلحاد !) .

وقد رد على رسالته هذه الدكتور أحمد زكي أبو شادي برسالة عنوانها : « لماذا أنا مؤمن؟ » .

ورد عليها محمد فريد وجدي بمقالة عنوانها : « لماذا هو ملحد؟ » .

فكيف كانت نهاية هذا الضال الخبيث ؟! .

في مساء الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٠م وجدت جثة « إسماعيل أدهم » طافية على مياه البحر المتوسط ، وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها ، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين ويطلب إحراقها ! .

انتحر إسماعيل بعد أربع سنوات من تأليف كتاب الإلحاد وله من

العمر تسعة وعشرون سنة ؛ أي في ريعان شبابه ، فكانت نهايته نهاية مأساوية لشاب موهوب . . شديد الذكاء . . متوقد الذهن . . واسع الثقافة .

كان الأول على دفعته في البكالوريا ، وكان يحسن التحدث بست لغات ، وحاز الدكتوراه ، كل هذا وهو في هذه السن الصغيرة ![1] .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف : ٢٦] .

نذكر هذا المثال للمتقلبين في دين الله . . في عصر الابتعاث والمبتعثين . . حيث يركض كثيرٌ من الشباب للخروج من ديار الإسلام إلى بلاد الكفر بحجة الدراسة والحصول على الشهادة . . فهذا المثال رادعٌ لكل من أراد الخروج من بلاد الإسلام لغير حاجة ، أو أراد الخروج قبل أن يتحصن بما يحفظ عليه دينه من العلم والتقوى .

(ابن الراوندي الملحد :)

وإليك هذا المثال من الأزمنة القديمة : ابن الراوندي الملحد . . الذي انتهى حاله إلى أن ألف كتابًا سماه « الدامغ » ، يزعم أنه يدمغ به القرآن ! دمغه الله .

---

(١) انظر الأعلام للزركلي (١/ ٣١٠).

كان هذا المخذول يلازم الرافضة والملاحدة ، فإذا عوتب قال : **إنما أريد أن أعرف أقوالهم ! .**

فكان نهاية هذا التهاون في الجلوس مع المبتدعة والملحدين أن أصبح واحدًا منهم ، بل أجرأ منهم على حرمات اللَّه . نسأل اللَّه السلامة والعافية ! .

وقد كان هذا الرجل في أول أمره حسن السيرة ، كثير الحياء ، كثير الذكاء . . ثم انسلخ من ذلك[١] .

إذا لم يكن عون من اللَّه للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

الشاعر فهد العسكر :

فهد العسكر . . شاعرٌ شب متدينًا ، كان يؤدي الصلاة مع والده في المسجد منذ صغره ، ويحافظ على أداء كل الفروض ، حتى صلاة الفجر ، وقد أصبح مؤذنًا بعد ذلك .

ثم إنه أغرق في القراءة ، **واستمر في الاطلاع على مختلف الآراء والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية** إلى أن تحول تحولًا كليًّا في تفكيره ، وفي نظرته إلى الحياة وإلى بعض التقاليد والعادات الموروثة .

ثم انعزل عن أهله ، وشرب الخمور مع أشباهه من إخوان

---

(١) تلبيس إبليس (١٣٥).

الشياطين ؛ إلى أن أصابه اللَّه بالعمى وهلك غير مأسوف عليه .

وبعد وفاته . . لم يصل عليه أحدٌ من أهله ، وقاموا بحرق ما وجدوا من أشعاره التي تنضح بالكفر والاعتراض على شرع اللَّه والاستخفاف بشعائره ! ![1] .

٢ - ركوب الموجات

إن البعض يستغل الاتجاه القوي والسائد في عصره . . فيركبه لأجل مصالحه الشخصية ، وتحقيق أغراضه الدنيوية ، فيمدح الاتجاه الأقوى ويحييه ، ويؤلف المؤلفات في نصره وتعزيزه . . فإذا ذهبت هذه الموجة ركب الموجة القوية الأخرى .

وإليك مثالًا من الواقع على أن ركوب الموجات من أكبر أسباب التقلب :

عبد اللَّه القصيمي :

يتعجب البعض عندما يقرأ أو يسمع نبأ إلحاد رجل مثل عبد اللَّه القصيمي ! .

ذلك الرجل الذي انتكس أيما انتكاس ، وتحول من عالم في العقيدة ينافح عنه ويناضل في سبيله إلى ملحد كافر باللَّه العظيم ! .

لقد كان عبد اللَّه القصيمي طالبًا للعلم متميزًا ، وكان منذ نعومة

---

(١) انظر الأعلام للزركلي (٥/ ١٥٧).

أظفاره يشتعل ذكاءً ويتقد عبقرية ، وشب مسلمًا متدينًا متحمسًا للدين والدفاع عنه ، وألف كثيرًا من المؤلفات بأسلوبه القوي للدفاع عن الإسلام ونصرة الدعوة السلفية والتصدي لأعدائها ، وألف كتبًا تصدى فيها للملاحدة الذين يثيرون الشبهات في الأحاديث النبوية .

وهكذا كان سجل القصيمي حافلًا بالدفاع عن العقيدة الإسلامية من أهل الفتن والضلال .

ثم انتكس . .فما هو السبب الحقيقي وراء هذه الانتكاسة؟ .

لقد كان من طباع القصيمي ركوب الموجات الفكرية في عصره ، فحينما كانت الفرصة مناسبة للموجة السلفية ركبها وانتفع بها ، حتى استنفد أغراضه منها ، فلما برزت موجات أخرى كالقومية واليسارية والشيوعية وغيرها ، وظهرت قوتها الإعلامية ، توجه القصيمي لها وركب موجتها واستغل منابرها الصحفية .

وكان أول انحراف ظاهر للقصيمي في كتابه (هذه هي الأغلال) ، الذي وصف فيه تعاليم الإسلام بأنها مجموعة من الأغلال والقيود ، ثم تلتها مجموعة كبيرة من المؤلفات ، التي طفحت فيها أنتان الشك والزيغ والإلحاد .

٣ ـ الغلو والتشديد على النفس

عند النظر في بعض من انقلب عن الدين نجد أنه كان متشددًا ، غاليًا ، بل إن بعض أصحاب الفكر المنحرف كان في يومٍ من الأيام

أحد الذين ينهجون نهج الخوارج في تكفير المجتمع الإسلامي بسبب الذنوب والكبائر . . ثم انتقل من الطرف الغالي إلى الطرف الجافي . . ولو توسط بين الطرفين لكان خيرًا له ، فليس التشدد بصالحٍ للنفس البشرية ، وليس الجفاء وترك الدين بالطريق السوي .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ** »[١] .

والمشادة : المغالبة ، والمعنى : لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ، ويترك الرفق ؛ إلا عجز وانقطع ، فيغلب .

قال ابن المنيِّر - رحمه اللَّه - : (في هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل مُتَنَطِّع في الدين ينقطع ، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى المِلال ، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل ، أو إخراج الفرض عن وقته ، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة ، أو إلى أن خرج الوقت المختار ، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة .

وقد يستفاد من هذا : الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية ، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع ، كمن يترك التيمم عند

---

(١) رواه البخاري (٣٩).

العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر .

قوله : « فَسَدِّدُوا » أي : الزموا السداد ، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط .

وقوله : « وَقَارِبُوا » أي : إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه .

قوله : « وَأَبْشِرُوا » أي : بالثواب على العمل الدائم وإن قل ، والمراد : تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن بتفريط منه لا يستلزم نقص أجره .

قوله : « وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ » أي : استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة ، والغَدوة : سير أول النهار .

والرَّوْحَة : السير بعد الزوال .

والدُّلْجَة : سير آخر الليل .

وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر ، وكأنه ﷺ خاطب مسافرًا إلى مَقْصِد ، فنبهه على أوقات نشاطه لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع ، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنه المداومة من غير مشقة .

والدنيا في الحقيقة دار نُقْلَة إلى الآخرة ، وهذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة[1] .

---

(١) فتح الباري (١/ ٩٤-٩٥).

٤ - المداهنة بالباطل في دين الله ﷻ

وهي من أودية الضلال الخطرة ، ومن مزالق الأقدام الصعبة ، نسأل الله أن يثبتنا وينجينا من شرها .

لما عرف المشركون خطر هذا الباب ، وأن صاحبه لا يثبت على قدم الاستقامة والتسليم ؛ طمعوا في أن يصدوا النبي ﷺ عن بعض دعوته ، ويستميلوه إلى جاهليتهم شيئًا من الميل ، ويلتقي معهم في منتصف الطريق . . لكن الله عصمه من ذلك .

قال الله ﷻ : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء : ٧٤-٧٥] .

وقال تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ .
[القلم : ٨ - ٩]

أي : ودَّ المشركون لو تدهن وتوافق على بعض ما هم عليه ، إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه ، فيدهنون .

ولهذا حذر الله المؤمنين من مداهنة الظالمين والركون إليهم ، بعد أن أمر النبي ﷺ وأتباعه بالاستقامة ، فقال ﷻ : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود : ١١٢-١١٣] .

والركون إلى الظلمة : مداهنتهم .

والمراد : أنكم إذا ملتم إليهم ووافقتموهم على ظلمهم ، أو رضيتم ما هم عليه من الظلم ، فستمسكم النار إن فعلتم ذلك .

وتأمل حيل الشيطان حين يصد أصحاب الدعوات ويخدعهم ويصرفهم عن مبادئهم بالمداهنة الباطلة ، والالتقاء مع العقائد والشرائع الباطلة في منتصف الطريق بين الجاهلية والإسلام .

وبالغفلة عن هذا ينجرف البعض في تيارات المداهنة والتمييع والملاطفة للأحزاب العلمانية ، والطوائف البدعية ، بل وربما للأديان الشركية ، نسأل اللّه السلامة والثبات .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا ، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا ، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا ، فَتَأَذَّوْا بِهِ ، فَأَخَذَ فَأْسًا ، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ ، فَأَتَوْهُ ، فَقَالُوا : مَا لَكَ؟ قَالَ : تَأَذَّيْتُمْ بِي ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ . فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ »[1] .

وقد كانت المداهنة أول ضلال بني إسرائيل وانفلاتهم عن دينهم .

---

(١) رواه البخاري (٢٥٤٠).

قال الله تعالى : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ .

[المائدة : ٧٨-٧٩]

إن المداهنة طريق ضعيف الإيمان ومن اهتزت عقيدته ، فهو يبحث عما يرضي الناس ويفعله ، وعما يعرضه لسخطهم فيتركه ، ولو كان ذلك على حساب دينه ، وسخط ربه ﷻ ؛ لأن المهم عنده ألا يخسر الناس ، وألا يكون في موضع نقمتهم وغضبهم .

أيها المداهن ، إنك تطلب شيئًا لن تدركه . . فرضا الناس غاية لا تدرك ! .

أيها المداهن ، قد خسرت ربك ، وخسرت الناس أيضًا ؛ لأن من طلب رضا الناس بسخط الله سَخِطَ الله عليه وأسخط الناس عليه .

٥ - الإغراء بالمناصب والمال

وهذه حال المنافقين وضعاف الإيمان - والعياذ بالله - ، عباد الدرهم والدينار ، الذين تأسرهم الدنيا فإليها يطمحون ، وإياها يقصدون ، ﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ .

[التوبة : ٥٨]

وقد حاول كفار مكة أن يصدوا النبي ﷺ عن دعوته بإغراء المال والمنصب والرئاسة ، لعلمهم أن هذه الإغراءات يتنازل من أجلها

كثير من الناس عن مبادئهم ودعواتهم ، لكن هيهات هيهات ! ! .

وقد قال الله تعالى في وصف هؤلاء المتقلبين بين الحق والباطل ، الذين لا يعنيهم إلا حظهم من الدنيا : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج : ١١] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **« بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ : يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا »**(١) .

٦ - فتنة النساء

وهذه فتنة أخرى لكل مفتون ، حذر النبي ﷺ أمته منها أشد التحذير .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **« اتَّقُوا النِّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ »**(٢) .

والسؤال هو : هل هناك أحدٌ انقلب عن دينه ومذهبه من أجل امرأة؟ .

والإجابة : نعم . . فإن التاريخ مليء بقصص هؤلاء الذين انقلبوا وتلونوا بسبب فتنة النساء .

---

(١) رواه مسلم (١٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

عمران بن حطّان :

كان أحد العلماء ، وكان يحضر مجلس عائشة - رضي الله عنها - ويروي عنها الحديث ، وكان من أهل السنة والجماعة . . وكانت له ابنة عم جميلة الوجه جدًا قد اعتنقت مذهب الخوارج ، فقال في نفسه : أتزوجها . . لأصرفها عن مذهبها الباطل .

ولكن عوضًا عن ذلك . . صرفته هي إلى مذهبها الباطل ، فانحرف عن مذهب أهل السنة والجماعة[1] .

عبده بن عبد الرحيم :

غزا المسلمون حصنًا من حصون الروم . . وكان حصنًا منيعًا . . فطال الحصار . . وامتنع الحصن عليهم . .

وأثناء حصارهم أطلت امرأة من نساء الروم . . فرآها رجل من المسلمين اسمه عبده بن عبد الرحيم . . فأعجبته . . وتعلق قلبه بها . . فراسلها : كيف السبيل إليك؟ .

فقالت : أن تتنصر . . وتصعد إليّ . .

فتنصّر وتسلل إليها . .

مسكين ظن أن السعادة في امرأة ينكحها . . أو دنيا يصيبها . .

فلما فقده المسلمون اغتموا لذلك غمًّا شديدًا . .

(١) تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٢٣) والبداية والنهاية (٩/ ٥٢).

ثم طالت بهم الأيام ولم يستطيعوا فتح الحصن . . فذهبوا . .

فلما كان بعد مدة مرّ فريق منهم بالحصن فتذاكروا ابن عبد الرحيم . . وتساءلوا عنه : على أي حال هو الآن؟ ! . .

فنادوا باسمه : يا ابن عبد الرحيم . . فأطلَّ عليهم . .

فقالوا : قد حصلت على ما تريد . . فأين قرآنك وعلمك؟ وما فعلت صلاتك؟ .

فقال : لقد أنسيت القرآن كله . . ولا أذكر منه إلا آية واحدة . . قوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ .

[الحجر : ٢] ! ![1] .

صالح المؤذن :

كان رجل ببغداد يُقال له : صالح المؤذن ، أذّن أربعين سنة ، وكان يُعرف بالصلاح .

صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن ، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد ، فافتتن بها .

فجاء فطرق الباب ، فقالت : من؟ فقال : أنا صالح المؤذن .

ففتحت له ، فلما دخل ضمها إليه ، فقالت : أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ .

(١) البداية والنهاية (١١/ ٦٤).

فقال : إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك .

فقالت : لا ؛ إلا أن تترك دينك .

فقال : أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد . ثم دنا إليها .

فقالت : إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك ، فكُلْ من لحم الخنزير . فأكل .

قالت : فاشرب الخمر . فشرب .

فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها ، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب ، وقالت : اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك ؛ فصعد . . فسقط . . فمات .

فخرجت فلفّته في ثوب ، فجاء أبوها ، فقصّت عليه القصة ، فأخرجه في الليل فرماه في السكة ، فظهر حديثه ، فرُمي في مزبلة[1] .

وقد فُتِنَ في عصرنا الحاضر عددٌ من المسلمين بالنساء ، خاصة هؤلاء الذين يتزوجون بالكافرات رغبة في الحصول على جنسيات بلادهم ، ثم يسقطون في حضيض الكفر والشرك والعياذ بالله .

وبعضهم أنجب من تلك الكافرات أولادًا ، ثم منعوهم أولادهم إلا أن يغيروا ديانتهم ، فاستجابوا لذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبعضهم تطلب منه (حبيبته ! !) أن يتزوج بها في الكنيسة ، فيقبل

(١) ذم الهوى (٤٠٩).

ويرضى بذلك ، ويتزوجها في الكنيسة ، على حسب شرعة الكنيسة ، وبمباركة من رجال الكنيسة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٧ - طلب الشهرة والشرف

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ما ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ »[1] .

إن طلب الشهرة والشرف لهو ذئب جائع . . يعمل على افتراس حسنات المرء . . وعلى إيراده المهالك .

وقصص طالبي الشهرة كثيرة . . ومصائبهم عظيمة .

قصة النعمان بن محمد بن منصور :

كان مالكيًا من أهل الدين والفقه والنبل ، ثم إنه تحول إلى مذهب الشيعة لأجل الرئاسة ، فولي القضاء للمُعِزِّ العبيدي صاحب مصر ، فصنف لهم التصانيف على مذهبهم . . صنّف لهم كتاب ابتداء الدعوة ، وكتابًا في الفقه ، وكُتُبًا كثيرة في أقوال القوم ، وجمع في المناقب والمثالب ، ورد على الأئمة ، وتصانيفه تدّل على زَندَقَتِهِ وانحلاله .

جاء إليه رجل مغربيّ وقال له : قد عزمتُ على الدخول في مذهب العبيدية .

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٦)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٦٢٠).

فقال له : ما حملك على هذا؟ .

قال : الذي حمل سيّدنا .

فقال : نحن أدخلَنا في هواهم حلواهم ، فأنت لماذا تفعل ؟[١] .

٨ - فتنة الأهل والولد

وهي من شدائد الفتن التي يستغلها الشيطان ، وينصب حبائله فيها ، ليرد أهل الحق عن حقهم ، ويصد السالكين عن سبيلهم .

عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ : تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ ! قَالَ : فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ! .

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ فَقَالَ : أَتُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ[٢]؟ ! قَالَ : فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ! ! .

---

(١) لسان الميزان (٦/ ١٧٦).

(٢) مقصوده: أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة، لا يدور إلا في بيته، ولا يخالطه إلا بعض معارفه، فهو كالفرس في طول لا يدور ولا يرعى إلا بقدره، بخلاف أهل البلاد في بلادهم، فإنهم مبسوطون لا ضيق عليهم، فأحدهم كالفرس المرسل.

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ فَقَالَ : تُجاهِدُ؟ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ ، فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ ، وَيُقَسَّمُ المَالُ؟ ! قَالَ : فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ! ! » .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ »(١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال : اتَّعَدتُّ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضِبَ - اسم مكان - وقلنا : أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش ابن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنا هشام وفُتِنَ فافتُتِن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول اللَّه ﷺ بمكة ، فكلماه وقالا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسَها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرَقَّ لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه - واللَّه - إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك

---

(١) رواه النسائي (٣١٣٤)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٦٥٢).

فاحذرهم ، فواللَّه لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت ! ! .

فقال : أبر قسم أمي ، ولي هنالك مال فآخذه .

فقلت : واللَّه إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالًا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما .

فأبى علي إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ؛ فإن رابك من القوم ريب فانج عليها .

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا ابن أخي ، واللَّه لقد استغلظتُ بعيري هذا ، أفلا تُعْقِبني على ناقتك هذه؟ ! .

قال : بلى .

قال : فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عَدَوا عليه فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن ! ! .

وحين دخلا به مكة دخلا به نهارًا موثقًا ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا[1] .

فانظر إليه كيف فتنته أمه عن دينه ! ! .

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٧٢).

وما أروع موقف عمر بن الخطاب ومحاولاته المتنوعة في إنقاذ أخيه في الدين .

٩ - الانتهازية ، وحب الوصول

وقد ذكر اللَّه تعالى حال هؤلاء المفتونين المنافقين في كتابه الكريم ، فقال : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء : ١٤١] .

قال السعدي - رحمه اللَّه - : (أي : ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها ، وتنتهون إليها ، من خير أو شر ، قد أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم ؛ فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ، ليسلموا من القدح والطعن عليهم ، وليشركوهم في الغنيمة والفيء ، ولينتصروا بهم .

وإن كان للكافرين نصيب يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة ، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع : من تفنيدهم ، وتزهيدهم في القتال ، ومظاهرة الأعداء عليهم ، وغير ذلك ، مما هو معروف منهم)[١] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢١٠).

وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ ... إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
وَمَا أَكْثَرَ الخِلَّانِ حِيْنَ نَعُدُّهُمْ ... وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ[1]

ومن النماذج على هؤلاء المفتونين : الرَّجَّال بن عنفَوة .

كان أحد الذاهبين ذات يوم إلى الرسول ﷺ مبايعًا مسلمًا ، ولما تلقّى منه الإسلام عاد إلى قومه ، وكان به خير وخشوع ولزوم قراءة القرآن في ظاهره .

ولم يرجع إلى المدينة إلا إثر وفاة الرسول ﷺ ، واختيار الصديق رضي اللَّه عنه خليفة على المسلمين ، فكان أن نقل إلى أبي بكر رضي اللَّه عنه أخبار أهل اليمامة والتفافهم حول مسيلمة ، واقترح على الصديق رضي اللَّه عنه أن يكون مبعوثه إليهم يثبتهم على الإسلام ، فأذن له الخليفة .

وتوجه « الرجّال » إلى أهل اليمامة ، ولما رأى كثرتهم الهائلة ظن أنهم الغالبون ، فترك الإسلام ، وانضم لصفوف مسيلمة الذي سخا عليه بالوعود .

وكان خطر « الرَّجَّال » على الإسلام أشد من خطر مسيلمة ذاته ؛ ذلك لأنه استغل إسلامه السابق وحفظه لآيات كثيرة من القرآن استغلالًا خبيثًا في دعم سلطان مسيلمة ، وتوكيد نبوته الكاذبة .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/ ١١).

ولقد زادت أعداد الملتفين حول مسيلمة زيادة طافحة بسبب أكاذيب « الرَجَّال » .

وكانت أنباء « الرَجَّال » تبلغ المدينة ، فيتحرق المسلمون غيظًا من هذا المرتد الخطر الذي يضل الناس ضلالًا بعيدًا ، والذي يوسع بضلاله دائرة الحرب التي سيضطر المسلمون أن يخوضوها .

وكان أكثر المسلمين تغيظًا وتحرقًا للقاء « الرَّجَّال » الصحابي الجليل الذي تتألق ذكراه في كتب السيرة والتاريخ تحت هذا الاسم الحبيب زيد بن الخطاب رضي اللّٰه عنه .

فالرَجَّال في رأي زيد رضي اللّٰه عنه ، لم يكن مرتدًا فحسب ، بل كان كذابًا منافقًا وصوليًا . . لم يرتد عن اقتناع . . بل عن وصولية حقيرة ونفاق بغيض هزيل .

ولما جاء يوم اليمامة راح يخترق الصفوف كالسهم ، باحثًا عن الرَجَّال حتى أبصره[١] .

وأمسك بخناقه ، وأطاح برأسه المملوء غرورًا ، وكذبًا ، وخسة .

الوجيه ابن الدهان النحوي :

كان حنبليًا ، ثم تفقه على مذهب أبي حنيفة ، ثم شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وكان من شرط هذه المدرسة ألا

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦).

يُدَرِّس فيها إلا معلم شافعي المذهب ، فانتقل إلى مذهب الشافعي لأجل أن يتولى التدريس في المدرسة النظامية .

وقد نظم فيه مؤيد الدين أبو البركات - رحمه اللَّه - شعرًا فقال :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الوَجِيهَ رِسَالَةً ... وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي إِلَيْهِ الرَّسَائِلُ

تَمَذْهَبْتَ لِلنُّعْمَانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ ... وَذَلِكَ لَـمَّا أَعْوَزَتْكَ الـمَآكِلُ

وَمَا أَخَذْتَ بِرَأْيِ الشَّافِعِيِّ دِيَانَةً ... وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الَّذِي مِنْهُ حَاصِلُ

وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لَا شَكَّ صَائِرٌ ... إِلَى مَالِكٍ فَانْظُرْ إِلَى مَا أَنْتَ قَائِلُ[1]

القاضي شمس الدين محمد بن عباس الصلتي :

لقد تنقل القاضي الصلتي بين المذاهب الفقهية ، كل مدة من الزمان يتبع مذهبًا ، بسبب المناصب التي كان يتولاها ، فلأجل ذلك لم تكن سيرته محمودة بين الناس .

قال ابن تغري بردي - رحمه اللَّه - : (وكيف تُحمد سيرته ، وهو ينتقل في كل قليل إلى مذهب لأجل المناصب ! فلو كان يرجع إلى دينٍ ما فعل ذلك ، ومن لم يحترز على دينه يفعل ما يشاء .

وقد اجتمعت مرة بالقاضي كمال الدين ابن البارزي ، فدفع إلي كتابًا من بعض أهل غزة ، فوجدت الكتاب يتضمن السعي في بعض وظائف غزة ، وهو يقول فيه : «يا مولانا : المملوك منذ عُزل من

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٦٩).

الوظيفة الفلانية بغزة خاطره مكسور ، والمسؤول من صدقات المخدوم أن يوليه قضاء الشافعية بغزة ، فإن لم يكن فقضاء الحنفية ، فإن لم يكن فقضاء المالكية ، وإلا فقضاء الحنابلة » .

فكتبت على حاشية الكتاب بخطي : (فإن لم يكن فمَشاعلي ملك الأمراء)[1] .

والمشاعلي : هو الجلاد والسياف الذي ينفذ حكم الإعدام .

فكأن صاحب الرسالة كان يقول : أعطونا وظيفة في أي مذهب ، وعندنا الاستعداد أن نُغَير مذهبنا لأجل الوظيفة ! ! .

١٠ ـ الكبر والإعجاب بالنفس

الكبر والإعجاب بالنفس آفة خطيرة جدًا قد تكون سببًا من أسباب التلون والانقلاب عن دين الله ، وإليكم قصة جبلة ابن الأيهم الذي كان كبره سببًا لردته عن دين الإسلام :

إن جبلة بن الأيهم الغساني لما أراد أن يسلم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بذلك ، ويستأذنه في القدوم عليه ، فسرّ عمر لذلك والمسلمون ، فكتب إليه : أن أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا ، فخرج جبلة في خمسمائة فارس .

فلما دنا من المدينة لبس جبلة تاجه وألبس جنوده ثيابًا منسوجة

---

(١) النجوم الزاهرة (١٣/ ٣٩).

من الذهب والفضة ، ودخل المدينة فلم يبق أحد إلا خرج ينظر إليه ، حتى النساء والصبيان .

فلما انتهى إلى عمر رحّب به وأدنى مجلسه ! .

ثم أراد الحج ، فخرج معه جبلة ، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحلّه ، فالتفت إليه جبلة مغضبًا ، فلطمه ، فهشم أنفه .

فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب ، فبعث عمر إليه يقول : ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه؟ ! .

فقال : إنه وطئ إزاري فحلّه ! ولولا حرمة البيت لضربت عنقه ! .

فقال له عمر : أما الآن فقد أقررت ، فإما أن ترضيه ، وإلا أقدته منك .

قال : أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة ! .

قال عمر : يا جبلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضله بشيء إلا بالتقوى والعافية .

قال جبلة : واللّه لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .

قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك .

قال جبلة : إذن أتنصر .

قال : إن تنصرت ضربت عنقك .

فقال جبلة : أخرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين .

قال : لك ذلك .

ولما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة، وسار إلى القسطنطينية فتنصّر .

ثم إن جبلة طال به العهد في الكفر، فتفكر في حاله، فجعل يبكي، وأنشأ يقول :

تَنَصَّرَتِ الأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ ... وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرْ

تَكَنَّفَنِي مِنْهَا لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ ... وَبِعْتُ لَهَا العَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالعَوَرْ

فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي ... رَجَعْتُ إِلَى القَوْلِ الَّذِي قَالَ لِي عُمَرْ

وَيَا لَيْتَنِي أَرْعَى المَخَاضَ بِقَفْرَةٍ ... وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ

وَيَا لَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ ... أُجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالبَصَرْ[١]

١١ - عدم الإخلاص والصدق في الالتزام

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ - وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لَا

(١) البداية والنهاية (٨/ ٦٥).

يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ - فَقَالُوا : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا . قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ . قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الموْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ .

فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه .

قَالَ : « وَمَا ذَاكَ؟ ! » .

قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الموْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ! ! .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ - فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ - فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ! ! »[1] .

(١) رواه البخاري (٢٧٤٢) ومسلم (١١٢) واللفظ له.

١٢ - التعذيب وشدة البلاء

فإنه عند نزول البلاء وحصول الشدة قد يحصل تغييرٌ كثير للمواقف .

قال محمد بن إبراهيم البُوْشَنْجِيُّ - رحمه الله - : جعلوا يُذَاكِرون أبا عبد اللّه (الإمام أحمد) - رحمه اللّه - في التَّقِيَّةِ وما روي فيها . فقال : كيف تصنعون بحديث خَبَّابٍ : « إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالمِنْشَارِ ، لاَ يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ » . فأيسنا منه[1] .

١٣ - كثرة الأوهام

على المرء أن يزيل الأوهام العالقة بذهنه ، والتي تمنعه من الاستمرار في سيره على الصراط المستقيم ، هذه الأوهام التي قد تكون في الخوف من البطش والتنكيل ، أو قد تكون في الخوف من الخطأ والفشل ؛ هي من أسباب التقلب في دين اللّه سبحانه ، ومن أسباب التراجع عن المبادئ .

فتوهم الضرر في النفس أو الأهل أو المال سبب من أسباب تغير طرائق التفكير ، والخوف قد يمنع كلمة الحق أن تقال ، وهذه مزلة قدم يقع فيها كثير من الناس ، فلا يزال يقنع نفسه تحت ضغط الواقع بأن هذا حق وأن هذا باطل ؛ رغم مخالفة حكمه للحقيقة .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٣٩)، وأصل الحديث في صحيح البخاري (٣٤١٦).

وأخطر ما يكون الانحراف حين تبدل آيات اللَّه خوفًا من مخلوق ، أو رجاءً لعبد ضعيف .

فليَدعِ المرءُ الأوهام ، وليسلِّم للسلام رب الأنام .

١٤ - اليأس ، وقلة الصبر

فقد ييأس بعض الناس من هداية قلبه ؛ فيكون هذا سببًا للزيغ والانحراف .

وقد ييأس من هداية الناس فيفضي ذلك إلى ترك العمل والدعوة إلى اللَّه تعالى ، وهذه هاوية أخرى .

ولا ثمرة من اليأس إلا الهم والغم وقلة العمل .

١٥ - التعلق بالآخرين

الغلو في التعلق بالآخرين سبب من أسباب الزيغ والانحراف ، سواء كان المتعلق به عالمًا أو داعية أو وجيهًا أو صديقًا .

قال عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه : لا يكن أحدكم إمعة .

قالوا : وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ .

قال : يقول : إنما أنا مع الناس ، إن اهتدوا اهتديت ، وإن ضلوا ضللت ، ألا لِيُوَطِّنَ أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس لا يكفر[1] .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٨٧٦٥) وحلية الأولياء (١/ ١٣٧).

قال الإمام أحمد - رحمه اللَّه - : (من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال)[١] .

١٦ - الضغوط الخارجية

وهذا مشاهد أيضا في حياة الناس إذا تعرضوا للضغوط ومن أمثلة ذلك ما حصل مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه اللَّه -، حيث نزل العيينة وعرض دعوته على أميرها عثمان ابن معمّر ، فنصره وآواه ؛ فانتشرت الدعوة بين الناس ، وحل العدل والأمان بالعيينة ، وتسامع الناس بأخبار الدعوة والداعية ، فأقبل أنصار الشيخ من خارج العيينة إلى العيينة ليكونوا مع الشيخ ، ويتلقوا تعاليم الدين الحنيف على يديه .

وانتشر خبر نصرة ابن معمّر للشيخ ، حتى وصل إلى أمراء الأقاليم الأخرى ، ومن بينهم أمير الأحساء سليمان الحميدي ، وكان بين أمير الأحساء وأمير العيينة صلات وثيقة ، ولأمير الأحساء قوة ونفوذ يُحسب حسابهما ، ولم يرقه تأييد ابن معمّر لابن عبد الوهاب ، الذي أخذت حركته تشتد وتقوى وتنتشر ، فبعث إلى ابن معمّر يطلب إليه أن يُخرج الشيخ من بلده ، أو يُرسله إليه ، وعزز رسالته الأولى بأخرى .

فتخلى ابن معمّر عن نصر الشيخ بسبب هذه الضغوط الخارجية[٢] .

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢١٠).

(٢) كتاب محمد بن عبد الوهاب للعطار (٥٥).

عودة المتقلبين

إن باب التوبة مفتوح . . وطريقه ممهد لمن أراد الرجوع . . والانتكاسة لا تعني نهاية الأمر . . بل هناك طرقٌ يمكن فيها للمرء أن يعود إلى التدين والعبادة والصلاح .

فهذا عبد اللَّه بن أبي السرح . . كان كاتبًا للنبي ﷺ ، ثم إنه فُتن وارتدَّ ، حتى أهدر دمه النبي ﷺ ، ثم منَّ اللَّه عليه ، فلم يُقْتَل ، بل عاد إلى الإسلام .

قال يزيد بن أبي حبيب : لما حضرت عبد اللَّه بن سعد بن أبي السرح الوفاة ، جعل يقول لهم من الليل : أصبحتم؟

فيقولون : لا .

فلما كان عند الصبح قال : إني لأجد برد الصبح فانظر .

ثم قال : اللَّهم اجعل خاتمة عملي الصبح .

فتوضأ ، ثم صلى ، فقرأ في أول ركعة بأم القرآن والعاديات ، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة ، فسلم عن يمينه ، وذهب يسلم عن يساره فقبض اللَّه روحه[1] .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ٤٣).

استعادة المتقلبين :

إننا مطالبون باستعادة هؤلاء المتقلبين إلى صفوف الصالحين ، ومحاولة تثبيتهم مرة أخرى على الصراط المستقيم ، فلا بد أن يكون لنا دور نحوهم . . بالموعظة والنصيحة .

كان رجل من أهل الشام ذو بأس يفد إلى عمر رضي الله عنه ففقده عمر ، فقال : ما فعل فلان بن فلان؟ .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، تتابع في شرب الخمر .

قال : فدعا عمر كاتبه فقال : اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير .

ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ، ويتوب الله عليه .

فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرأه ويردده ويقول : غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي . فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكى ، ثم نزع فأحسن النزع .

فلما بلغ عمر خبره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زل زلة ، فسددوه ، ووثقوه ، وادعوا الله لأخيكم أن يتوب عليه ، ولا

تكونوا أعوانًا للشيطان عليه[١] .

فإلى من كان معنا في صفوف الصالحين . .

إلى من كان معنا من المصلين . .

إلى من كان وهجًا من نور ، ذا قلب مفعم بالإيمان ، وخطا نحو الهدى في عزة وأمان ، لكن الهوى والشيطان كانا حجر عثرة في طريقه ، فانزلقت قدماه . .

إلى من كان ينتظر الصلاة بعد الصلاة ثم أصبح في الضياع . .

وبعد أن كان نظره في الآيات البينات . .

أصبح الآن إلى وجوه المومسات . .

بعد أن كان ملازمًا للبكاء من خشية اللَّه وقت السحر . .

أصبح الآن يسهر على معصية اللَّه . .

إلى من حاد عن الصف . . إليك هذه الرسالة :

إِلَى مَنْ حَادَ عَنْ صَفِّي وَوَلَّى تَارِكًا كَفِّي
ضَلَلْتَ الدَّرْبَ يَا صَاحِ وَخُنْتَ العَهْدَ يَا إِلْفِي
نَسِيتَ القَوْلَ يَا صَاحِ وَصِرْتَ اليَوْمَ مَفْتُونَا
فَسَالَ الدَّمْعُ مِدْرَارًا وَبَاتَ القَلْبُ مَحْزُونَا

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٧).

إِلَى مَنْ قَالَ لِي يَوْمًا يَمِينَ اللَّه لَنْ أَخْنَعْ
سَأَبْقَى ثَابِتًا دَوْمًا وَلِلشَّيْطَانِ لَنْ أَرْكَعَ
فَكَيْفَ المُلْتَقَى خَبِّرْ وَكَيْفَ نَكُونُ إِخْوَانَا
وَلَيْلَ الذَّنْبِ تَهْوَاهُ وَنَحْنُ الفَجْرُ يَهْوَانَا

اللَّهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد .

اللَّهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك .

اللَّهم يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا على طاعتك .

والحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهرس